فتاوى أحمد حماني الوطنية
وأثرها على الوحدة

اسمهان قصور
باحثة في العلوم الإسلامية
جامعة الجزائر 1

يقول الشيخ أحمد حماني رحمه الله عن بلده الجزائر: "فقد ظلمت بأنها لا تهتم كثيرا بالدين وبأنها أدارت ظهرها إليه أو تقاعست، وأنى لها أن تستطيع ذلك ولو أرادت وهي دولة أمة مسلمة قد انطبعت كل أعمالها بطابع الإسلام، وحتى يوم كانت تحت وطأة المستعمر لم تتخل عن الإسلام أبدا"(1).

هذا المقطع من كلام الشيخ يوضح لنا جليا مدى اعتزازه بدينه، ووطنه الجزائر، والذود عن الوحدة الوطنية، وأن الجزائر أمة مسلمة، رغم كيد أعداء الإسلام من الداخل أو الخارج، وكأن هذا الكلام هو امتداد لقول شيخه عبد الحميد بن باديس: شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب.

من هنا تبرز الشخصية الوطنية للشيخ أحمد حماني، وفي هذه العجالة، أو المداخلة، أحاول أن ألم بعض فتاوى الشيخ التي من خلالها نحاول استنباط وطنية الشيخ أحمد حماني وأثر هذه الفتاوى في الوحدة الوطنية.

لعل الشيخ أحمد حماني أحد أبرز أعلام العلماء المسلمين الجزائريين المحدثين الذي جمعوا بين الأصالة الإسلامية المعتدلة وبين التفتح المعاصر المتزن، فقد اعتنى رحمه الله بالقضايا اليومية والحيوية للمجتمع الجزائري، ومشاكل العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والطبية المتجددة، وكان فقيه الجزائر، يسعى جاهدا من خلال فتاواه إلى مواكبة العصر ومعايشة الأوضاع الاجتماعية، وربط الشعب الجزائري بالإسلام عقيدة وسلوكا، وبالعربية لغة، وبالجزائر وطنا، عاش رحمه الله هموم أمته، فحارب التعصب الديني، وضلالات العقائد والبدع، وعمل على لم شمل أفراد أمته بالتوجيه الصحيح المبني على الكتاب والسنة، فكان بذلك رمز

النهضة الفكرية في الجزائر، والجهاد والوطنية الصادقة زيادة على تبحره في علم الشريعة، حيث سلك مسلكا لطيفا في الفتوى شهد له بذلك أكابر علماء زمانه. فقد كان مجلس الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، الذي يترأسه الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – يستشار في الفتوى القادمة إليهم من البلدان الإسلامية، إلا الفتاوى التي ترد عليهم من الشيخ أحمد حماني فكانت تنفذ ولا يستشار فيها. فقد كان الشيخ بن باز رحمه الله يقول: " إذا جاءت الفتوى من عند الشيخ أحمد حماني فنفذوا ولا تستشيروا وإذا كانت من غيره فاستشيروا ولا تنفذوا"[(2)]. كما راسل علماء السعودية مع جلالة مكانتهم العلمية – الشيخ أحمد حماني – رحمه الله طالبين منه الاستشارة في قضية زرع الأعضاء، وما هذه الثقة إلا لتضلع الشيخ في الفتوى، وإمكاناته العلمية. حيث امتاز رحمه الله برسوخ في العلم وتواضع جمّ، كان همّه الإصلاح ما استطاع لذلك كانت فتاواه عبارة عن أسئلة وأجوبة، مبعثرة دون تدوين ولا تأليف

وهذا البحث يهدف إلى إبراز الشخصية العلمية للشيخ حماني ورسوخه في العلم وقد تناولت في هذه العجالة شخصيته المفعمة بالوطنية وبعض فتاواه التي عززت هذا المبدأ من غير تبديل ولا محاباة ولكن فتاوى ممنهجة بطريقة علمية ومن توقيع مجتهد فطن

أما أهم الفتاوى التي اخترتها :

صلاة الجمعة في الثكنات العسكرية

اعتماد الحساب الفلكي لصيام رمضان

ضرورة احترام العلم الوطني

قضية التجنيس

الإفطار في رمضان لعمال صهر الحديد والصلب

الشخصية الوطنية للشيط أحمد حماني:

ترجمة موجزة حول الشيط[(3)]:

أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني التمنجري، نسبة إلى دوار تمنجر الذي ولد فيه بقرية أزيار الواقعة جنوب بلدية العنصر بدائرة الميلية، ولد يوم

الإثنين السادس والعشرون من شوال سنة 1333 هـ الموافق للسادس من سبتمبر سنة خمسة عشر وتسعمائة وألف ميلادية (1915م).

التحق بالكتّاب صغيرا أين حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم الدينية واللغوية، وفي حدود سنة 1930م التحق بالإمام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، وكان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ودروس الشيخ عبد الحميد بن باديس دورا بارزا في تكوينه وتضلعه في فهم الإسلام الصحيح وتشربه بالروح الوطنية، حيث شارك آنذاك ولأول مرة في المظاهرة الشعبية الكبرى ضد غلق المساجد في وجوه العلماء، والتي كان على رأسها ابن باديس. وكذلك مشاركته في أحداث 05 أوت 1934 بمدينة قسنطينة في يوم 26 سبتمبر 1934 توجه إلى تبسة ومنها إلى تونس، حيث انظم إلى سلك الطلبة بجامع الزيتونة.

كما انتسب إلى المدرسة الخلدونية التي كانت بجوار الزيتونة لتطوير معارفه، فدرس الرياضيات، كما انتسب إلى مدرسة فرنسية في الحي الأوروبي.

وفي شهر جويلية 1943 نال الشيخ رحمه الله شهادة العالمية في القسم الشرعي بتفوق. وعاد إلى الجزائر سنة 1944 فعاش لدينه ووطنه، فكان رمزا من رموز الجهاد والوطنية الصادقة، والثقافة والعلم، وعلم من أعلام المدرسة المالكية في الجزائر.

مع بداية الثورة التحريرية شارك فيها بكل قوة حيث اعتقل وعذب لمدة 04 سنوات إلى غاية الاستقلال[4]، بعدها عمل مديرا لمعهد ابن باديس ثم أستاذا بجامعة الجزائر لمدة 10 سنوات.

في سنة 1972 عين رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى إلى حين تقاعده سنة 1989 وواصل الدعوة إلى الله رغم كبر سنه والفتن التي مرت بها الجزائر. ويعتبر الشيخ من أبرز المصلحين الذين عرفتهم الجزائر، وهو علم من أعلام الفتوى المدرسة المالكية في الجزائر.

من مؤلفاته:

- فتاوى الشيخ أحمد حماني.
- الإحرام لقاصدي بيت الله الحرام.
- صراع بين السنة والبدعة (جزءان).
- الدلائل النيرة في تكفير الطائفة البهائية.

إضافة إلى مخطوطات لم تطبع بعد من مقالات، ومحاضرات، بالإضافة إلى تراثه الفقهي المسجل في وسائل الإعلام[5].

من الوظائف التي تقلدها رحمة الله:

– عين مفتشا عاما للتربية والتعليم في قطاع الشرق الجزائر في بداية الستينات (1963).

–درس في جامعة الجزائر في الثمانينات.

–رئيس للمجلس الإسلامي الأعلى سنة 1972 إلى 1987.

–سنة 1973 انتخب عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ثم انتخب عضوا مؤسسا للمجلي الأعلى العالمي للمساجد.

–ترأس لجنة تصحيح المصاحف بوزارة الشؤون الدينية الجزائرية.

–عين عضوا في اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني 83- 84- 85.

–عين رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومديرا للبصائر في سلسلتها الثالثة سنة 1991.

– عين على رأس مجلس الإفتاء بوزارة الشؤون الدينية.

توفي رحمه الله بعد نضال على كل الجبهات العلمية، السياسية والدينية، يوم الاثنين 5 ربيع الأول سنة 1491 هـ الموافق لـ 29 جوان 1998 على الساعة الثانية بعد الزوال وشيع جثمانه جم غفير من العلماء ومن الجهات الرسمية لأجهزة الدولة بمقبرة العالية.

رحمه الله تعالى عاش مجاهدا أثناء الثورة وعالما مربيا إبان الاستقلال.

ظروف شكلت شخصيته الوطنية:

كل من عرف الشيخ أحمد حماني، يؤكد أنه كان مثالا للوطنية ذا عاطفة جياشة نحو الجزائر وشعبها كان يبكي ويتألم لما آلت إليه أوضاع البلاد في التسعينات.

وبتصفح حياته أجد أنه مرّ بمراحل أثرت على شخصيته الوطنية منها:

1- **ظروف النشأة:** القهر الذي مارسته فرنسا ضد المواطنين الجزائريين خاصة منطقته – العنصر- حيث مارس فيها المستعمر كل أنواع التنكيل، فتربى الشيخ على هذا وفتح عينيه على المعاملة القاسية للفرنسيين لأهل بلدته.

2- **البيئة الأسرية:** رضع الشيخ لبان حب الوطن من والديه وعشيرته، فكان أبوه محمد من فقهاء المنطقة، وكان جده مسعود عصاميا حفظ جزء كبيرا من القرآن وهو كبير السن، شارك في مقاومة الاحتلال وكان من أباة الظلم. وطيلة الاحتلال الفرنسي لم يسجل التاريخ أن أحدا من العائلة تواطأ مع الاحتلال الفرنسي، بل كانت عائلة أحمد حماني – له بالمرصاد، وهذا ما دفع بمسؤول فرنسي إلى وصف هذه العائلة بأنها مشبوهة[6].

3- **مرحلة تكوينه:** عرفت هذه المرحلة أحداثا أليمة أثرت في شخصيته الوطنية، كمشاركته، لأول مرة في المظاهرة الشعبية الكبرى ضد إغلاق المساجد في وجوه العلماء، (والتي كان على رأسها ابن باديس)، وكذلك مشاركته في أحداث 5 أوت 1934 بقسنطينة[7].

4- **جمعية العلماء المسلمين:** كان لجمعية العلماء المسلمين الأثر الواضح في تكوين شخصيته الوطنية ناهيك عن العلمية. فقد أشرب عقله وفؤاده بدروس وحلقات عبد الحميد بن باديس الوطنية.

5- **كان جنديا من جنود الثورة:** جاهد ضد المستعمر فكان من أوائل من لبى نداء الثورة كبقية إخوانه العلماء والطلبة واستجاب للواجب الوطني.

6- **دخوله سجن تازولت:** من ابرز ما أثر في شخصيته مكوثه بسجن الكدية بقسنطينة وتازولت بباتنة، وحينها مارس مهمة التدريس، كما أنشأ مع إخوانه المجاهدين حركة تعليم منظم.

هذه الأحداث وغيرها أثرت في شخصية الشيخ أحمد حماني، فكان المدافع عن الوحدة، والمعالم الوطنية بدون هوادة.

شهادات عن حبه ووفائه لأمته:

كتب الشيخ عبد الرحمن شيبان عن وطنيته ووفائه لبلده: " كان الشيخ أحمد حماني من أكثر الناس تقديرا للاستقلال الوطني الذي بفضله، استرجعت الجزائر سيادتها كدولة تنعم بتسيير شؤون الوطن بإرادة دانية وحرية كريمة، بعد تضحيات حسام في الأنفس والأموال تكبدها الشعب الجزائري دهرا طويلا، لو ابتلى بها شعب آخر لكان من الغابرين فكان رحمه الله حريصا على ما يضفي على هذه الدولة ما تستحق من مهابة وإجلال، وكان

يسخط على كل من يسعى من قريب أو بعيد على ما ينال من كرامة هذه الدولة من فتنة أو تآمر، وقد أعلن ذلك في عدة مناسبات بخشوع دمعت له عيناه في بعض الأحيان، فهو لغيرته على هذه الدولة يتغافل على بعض السلبيات التي تبدو على بعض أجهزتها الرسمية من تصريحات ومواقف، لكنه رحمه الله لا يسعى على باطل من أي سلطة تشريعية أو قضائية أو تنفيذية، فكل من يحاول أن يلحق نقيصة تنال من شرفه العلمي أو الوطني فهو من عناهم أبو الطيب المتنبي بقوله:

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم
ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي
أنا الثريا وذان الشيب والهرم [8]

كما كتب الأستاذ محمد الهادي الحسني مقالا نشر بجريدة البصائر بعنوان "الشيخ أحمد حماني العالم المجاهد والفقيه المجتهد"، حيث ذكر من بين أخلاقه : التواضع والوفاء غير المحدود[9].

ويقول الأستاذ أحمد بري (صديق الشيخ): "... لقد كنا نتبعه في جرأته وقوة عزيمته وغيرته الشديدة على الجزائر والإسلام"[10].

من ملامح وطنية الشيط حماني رحمه الله:

من خلال شخصيته يتضح لنا ملامح اتصف بها الشيخ اعتزازا بوطنه الجزائر، وقد أنكر على الشيخ شيئان لكنه اتصف بهما وسار عليهما ورد على مناوئيه بخصوصهما.

أ/ انتصاره للمذهب المالكي: بحكم انتمائه إلى بلاد المغرب والقطر الجزائري، وهذه البلاد تتبع الإمام مالك في أصوله، لم يحد الشيخ عما وجد عليه أسلافه وما تعلمه فهو يقول في ذلك: "ثم إن السائل إنما يسأل عن المذهب المالكي والأغلبية الساحقة من شعبنا يقلدون الإمام مالك"[11].

ويقول في موضع آخر "لكننا إنما درسنا مذهب الإمام مالك، فنحن نفتي بما نعلم" [12] وهو بهذا الصنيع يريد لم شمل أمته على رأي واحد، حفاظا على وحدة

الأمة ومرجعيتها وعدم الافتراق على آراء متعدد قد تضعف من قوتها ولذلك ذم التعصب المذهبي واللامذهبية. حيث يرى الشيخ أن التعصب بكل أشكاله والغلو في الدين يؤدي إلى فتنة والفتنة أشد من القتل[13].

ب/ تقلده وتحمله مناصب إدارية عليا في الدولة: مصلحة للوطن وخدمة له تقلد رحمه الله مناصب أهلته أن يخدم بلده، وينصح حكامه واستغل رحمه الله قربه من الحكام خدمة لهذا الدين والتمكين له، واعتبر متهميه أنه من علماء السلطان أنهم من المتربصين والمتآمرين بالدين والوطن.

ورد على متهميه أنه من علماء السلطان بعدة مبررات يراعي في كل مبرر مصلحة العلم والوطن لا غير، ومن وظيفة العلماء مناصحة الحكام" إن الحكام أنفسهم في أمس الحاجة إلى من ينصحهم ويذكرهم بأحكام الشريعة القطعية التي يجب ألا يتجاوزها أحد حاكما كان أو محكوما، وهذه هي وظيفة العلماء الطبيعية. مناصحة حكام المسلمين وعامتهم، لأن الدين النصيحة، كما صح بذلك الحديث وقد عوتب في ذلك إمام الهجرة على اتصاله بحكام المسلمين وأمرائهم في وقته فقال: إذا لم نتصل بهم فكيف نبلغهم حكم الشرع وكيف نبلغ لهم النصيحة وفي الحديث الصحيح عن أبي رقية تميم بن أوس الداري (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله، قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[14]".[15]

كما ساق رحمه الله مبررا آخرا لاتصال العلماء المسلمين بالسلطان، وهو تقوية الثقة بينهم، لأن الفصل بين العلماء والحكام هو فصل بين الأمة والحكام والعلماء: "وقد تبين من هذا أن هذا التعميم في هذا الحكم في مثل هذا العصر إنما يراد به نزع الثقة من كل العلماء والفصل بينهم وبين الحكام وأمتهم، وتبقى الرعية فريسة لكل الذئاب..."[16].

ج/ إتباعه واحترامه الواجب الوطني: من بين ملامح وطنيته إتباعه للأوامر، إذا لم تخالف شرعا فقد أسس مع إخوانه في سجن تازولت حركة تعليم منظم التزاما بالتعاليم الفوقية.

وفي هذا الشأن يقول: "وأما في سجن تازولت المركزي الرهيب فإن الأوامر الواردة من الجبهة وجيش التحرير صريحة في وجوب مواصلة التعليم والتعلم..."[17]

نماذج من فتاوى الشيط الوطنية:

إن المتتبع لفتاوى الشيخ أحمد حماني يلاحظ أنها في مجملها على المذهب المالكي أو المشهور في المذهب وهذا ما أكده هو بنفسه، لكن نجد الشيخ في بعض هذه الفتاوى قد خرج عن المشهور في المذهب ورجح فيها أقوالا غير مشهورة، أو مال إلى مذاهب أخرى أو أقوال لفقهاء معاصرين أو قدامى، ورجحها على القول المعتمد في المذهب المالكي لجملة من الاعتبارات، ولعل الدارسين لفتاواه يؤكدون الاعتبارات الشرعية بكل أنواعها، واخترت فتاوى الموضوع على أساس الاعتبار الوطني وكيف أنه أختار رأيه وبناه على أساس المصلحة الوطنية والوحدة الترابية فيما يخدم الوطن ومنه الإسلام الذين تدين به الدولة. وأجد هذه النماذج من الفتاوى تعكس فعلا مدى - رحمه الله – اعتزازه بوطنيته، وإسلامه، وتمسكه بالوحدة الوطنية ودرأ كل ما يمس أو يعكر هذه اللحمة.

صلاة الجمعة في الثكنات العسكرية:

اختلفت الآراء الفقهية في تحديد الشروط التي يجب توفرها حتى تصح الجمعة، والمذهب المالكي اشترط لوجوب الجمعة الاستطان بنية التأبيد، استطان بلد أو استطان أخصاص يمكنهم عادة بالأمن على أنفسهم والاستغناء في معاشهم العريف من غيرهم، بحضور اثني عشر رجلا لصلاة الجمعة وسماع خطبتها وغيرها من الشروط التي عددها المالكية[18].

ومع ذلك لما ورد سؤال للشيخ يستفسر صاحبه عن حكم صلاة الجمعة في ثكنات الجند أجاب رحمه الله بالمشهور في المذهب المالكي الذي عليه الفتوى حيث قال: " نريد أن نعرف أولا هل يوجد ببلد "عين أمقل" سكان مستوطنون، فإذا كان الأمر كذلك، فإن على الجنود أن يؤدوا به صلاة الجمعة معهم، فإن لم يكن لهم مسجد أو كان ولكنه ضيق بهم فإن الجمعة تصح بمسجد الثكنة إذا كان يفتح أبوابه لجميع المسلمين العسكريين منهم والمدنيين.

وأما إذا لم يكن بالبلد مستوطنون أو كان مسجد الثكنة ممنوعا دخوله على المدنيين، فلا تصلوا فيه الجمعة، وصلوا ظهرا وليلحق أحدكم كلمة وعظ وإرشاد ترفق القلوب وتهدي إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر"[19].

ولكن الشيخ أحمد حماني – لا يلبث أن يذكر السائل فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية[20] تجيز إقامة الجمعة في مثل حالة المسؤول عنها، وهي اعتبار هذه الثكنة بمثابة مدينة مستقلة، ولو كانت في مدينة كبيرة كالقاهرة، وعليه فلا يضرها منع العموم من دخولها[21].

ولقد عول الشيخ أحمد حماني على اعتبارها مدينة أخرى وبالتالي تصح فيها صلاة الجمعة، والذي دعا الشيخ إلى هذا الاختيار الفقهي هو أن الشروط التي وضعها الفقهاء لصحة صلاة الجمعة كلها اجتهادية[22].

ومن هنا فإن الشيخ أحمد حماني لم يجد حرجا في الفتوى بهذا الرأي، وجواز صلاة الجمعة في مساجد الثكنات العسكرية، لأنها بمثابة مدينة أخرى، على قول ابن تيمية، وما خروجه عن مشهور مذهبه إلا للتيسير على العسكريين في أداء واجبهم الديني من جهة بصلاتهم الجمعة، ومن جهة أخرى أداؤهم لواجبهم الوطني، من الالتزام بالأوامر، والانضباط الواجب في مثل هذه المهمة.

اعتماد الحساب الفلكي لصيام رمضان:

ذهب الشيخ أحمد حماني مذهب بعض المعاصرين في اعتماد الحساب الفلكي في إثبات دخول الشهور القمرية ومنها شهر رمضان (الصيام) فقد سئل رحمه الله عن ثبوت صوم رمضان بالحساب الفلكي، وكان رأيه، وجوب الجمع بين الحساب العلمي وبين النص الشرعي الثابت عن رسول الله (ﷺ) وعليه فإذا اجتمع الحساب العلمي والرؤية اليقينية، ثبت دخول الشهر القمري عن يقين، وإذا عارض ادعاء الرؤية العلم لم يثبت، فقال رحمه الله " والقاعدة المتفق عليها أهل الحل الفلكي أن الهلال سيكون موجودا في الأفق ليلة دخول الشهر، وأنه سيبقى في الأفق بعد مغيب الشمس مدة، ويمكن أن تراه الأعين، فإذا ثبت هذا فإن، من ترصده يراه حتما إن لم يمنع من رؤيته مانع، وهذا يحقق قول النبي ﷺ: "صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته "[23].

فالمؤتمر قد اعتبر الحساب العلمي الدقيق كما اعتبر النص الشرعي من قول النبي ﷺ، ولو كان علماء الفلك يثبتونه فإن علماء الشريعة لقوله : "صوموا لرؤيته" والرؤية غير ممكنة فهذه القاعدة متفق عليها هي أساس إحداث تقويم

قمري موحد... ثم يواصل ويؤكد بأن الإسلام دين العلم واليقين، ولا تعارض بين قواعد العلم المقررة، وبين أحكام الدين، والإسلام لا يعارض علم اليقين"[24].

كما أبطل الشيخ مزاعم من رفض اعتماد الحساب الفلكي في إثبات دخول الشهور القمرية ومنها رمضان واعتبر أن الحساب الفلكي هو التنجيم المنهي شرعا لأنه رجما بالغيب.

كما فند مزاعمهم بآراء منم السلف الصالح: " ثم إن قضية إثبات الشهر بالحساب إذا لم تقع رؤية موجودة من القديم، ومن القائلين بالحساب مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو من كبار العلماء التابعين، وهو قول معروف في مذهب الشافعي (رضي الله عنه) ثم واصل قوله "ومن العلماء المحدثين من أخط بالحساب ورجح العمل به لأنه رأى أنه حساب علمي صحيح، دقيق ومن هؤلاء من مغربنا الشيخ علال الفاسي زعيم علماء المغرب، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام بتونس وغيرهما كثيرا"[25].

ولقد رجح الشيخ هذا الرأي وانتصر له لأنه يحقق مقصدا من مقاصد الشريعة وهي وحدة الأمة وما تقتضيه حالتها الاجتماعية. فالشيخ لا يستصنع بعد – المزاعم – التي أثبتها العلم، حيث يقول: "إن أمم الغرب قد توصلت بالحساب الفلكي إلى قياس أبعاد النجوم والكواكب وتقدير المسافات بينها إلى أن حطوا رحالهم فوق سطحه، وكل هذا محسوب بالدقائق والثواني"[26].

ضرورة احترام العلم الوطني:

كما هو حال بعض المتفيقهين في كل عصر وحين، برزت آراء وما تزال تحرم الوقوف للعلم الوطني، وفي هذا الشأن ورد على الشيخ أحمد حماني سؤال حول العمل في سلك الدولة ومنه الوقوف للعلم الوطني. فكان رد الشيخ ردا كافيا وافيا، مستغربا من القول بحرمة الوقوف للراية الوطنية "من قال لك إن تحية العلم والقيام للضابط يتنافيان مع الدين الإسلامي، إن هذا الكلام هو الذي يتنافى مع الدين الإسلامي، وهو كلام مغشوش، المراد منه احتقار علمنا، ومن فرض تحية العلم أراد أن يحترم وإرادته صحيحة فإن العلم هو رمز الأمة والسيادة" [27].

إن مثل هذا الرد بهذه الصراحة والشجاعة والصرامة والوطنية ينم عن شعور بالانتماء، والمسؤولية وتعزيز روح الانضباط والولاء للدين.

ولم يكن الشيخ ليطلق العنان لآرائه عارية من الدليل، بل استشهد لقوله بما فعله الصحابة رضوان الله عليهم، فقال: " وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يعظمون قدره، ولا يعطونه يوم المعارك إلا لأقواهم شجاعة وتدينا، وقد كان يحمل الراية في معركة مؤتة جعفر بن أبي طالب فضربه العدو على يده اليمنى فقبض عليها باليد اليسرى فضربه عليها فلما قطعت يداه قبض بذراعيه واحتضنها حتى قتل ولم يسلم الراية"[28].

ثم ساق دليلا آخر على ضرورة احترام الراية، حيث أنها لم يحملها إلا الحفظة لكتاب الله: " وفي معركة اليمامة كان المسلمون يعطون الراية لحفاظ القرآن لأنهم أشجع وأقوى على حمل الراية، وحملها زيد بن الخطاب فقال له الصحابة إنا نخشاك عليها وأن تفرط فيها فقال: "بئس حامل القرآن أنا إذن وقتل في المعركة"[29]. ثم يضيف مؤكدا: "والراية عقدها النبي ﷺ بيده ويجب احترامها.

وبعد ما ساق الأدلة، فرق بين فعل العبادة والاحترام فقال: "وهناك فرق بين احترامها وعبادتها، فالعبادة لا تكون إلا للّه وأما التحية فليست من نوع العبادة المبنية على الخوف والرجاء، فهل رأيت في الجزائر من يعبد الراية ويرجوها أن تدخله الجنة وأن تنقذه من النار ؟ فما هذا الفقه الذي تعلمتموه ومن أين جاء؟"[30].

قضية التجنيس:

لا أجد أدل من هذه الفتوى في اعتزاز الشيخ بإسلامه وعروبته ووطنيته، فقد سعى بعلمه – رحمه الله – إلى لم شمل أفراد وطنه وحماية وحدته الترابية وتكثير سواد المسلمين.

ومن ذلك تحريمه التجنيس حيث يقول: " كان التجنيس وما يزال من أخطر المكائد الاستعمارية ولو لم يحرمه ديننا لرحمته قوميتنا، لأنه فتح بابا للتنكر منا والخيانة لنا وتقليلنا وتكثير أعدائنا ومن أجل هذا لم تبحه أي أمة "[31]. ثم واصل قوله: " فالمتجنس مرتد كافر لأنه رفض كتاب الله وتولى النصارى فكان منهم حكمه حكمهم"[32].

ولما أثارت هذه الفتوى ردود أفعال مختلفة، سرد رحمه الله في فتواه، خلفية التجنيس التاريخية في الجزائر، وكيف كانت تسعى فرنسا بهذا الفعل إلى تحقيق أغراضها الاستيطانية.

كما أحال الفتوى لقائلها وأنه مجرد ناقل لها : " لست أنا أحمد حماني الذي أصدر الفتوى بردة المتجنس، وإني عند نفسي وعند الناس لم أبلغ درجة المفتي فإنها درجتها الاجتهاد من العلماء الكبار، ولهذا فلا يصح أن تنسب هذه الفتوى إلي ولا أن أكون طرفا لمن يخاصمها أو يناقشها أو يخطئها... "[33].

ومرجع هذه الفتوى – تحريم التجنس – إلى علماء المغرب العربي، منهم شيخ الإصلاح في الجزائر عبد الحميد بن باديس، والشيخ العربي التبسي رئيس لجنة الفتوى في الجزائر وقد صدرت منهم رسميا سنة 1938.[34]

وقبلهم كان مؤسس الدولة الجزائرية الأمير عبد القادر قد بعث يسأل عن الحكم ذاته من علماء المغاربة وكان ردهم بالتحريم[35].

وإن كانت فتوى هؤلاء لها خلفيتها التاريخية الاستعمارية فإن الشيخ أحمد حماني أسقطها على واقعنا الحالي، وعمل بهذا الحكم أي تحريم التجنس وإن تخلصنا من الاستعمار فيقول: "وقد تخلصنا منه ونحن بأرضنا كيف نبيح لعمالنا أن يتجنسوا بأرضه وهم معدودون بالملايين فيصبح أبناؤهم فرنسيين وينشئون على الفرنسية مستعدين بالفعل أو بالقوة للتنصر أما التنكر لقومهم فقد تحقق.

إن الجنسية الفرنسية وكذا البريطانية من أعنف خصوم الإسلام والمسلمين، وهذا لا يخفى على أحد، والدخول فيها لا يتم إلا بالخروج عن الإسلام، فليتق الله في أمته ودينه من يبيح لقومه الفرنسة فإنه من أكبر أعوان الكنيسة والانحلال"[36].

ولعل الشيخ أحمد حماني اختار ومثل بالجنسية الفرنسية والبريطانية لأنهما الدولتان الاستعماريتان الكبرى في القرنيين السابقين.

الإفطار في رمضان لعمال صهر الحديد والصلب.

أفتى الشيخ أحمد حماني بجواز إفطار العمال الذين يعملون في مواجهة الفرن العالي الحرارة والحديد المصهور أو المحمى إلى درجة عالية إذا جاء رمضان، حيث يتعرضون لمشقة كبرى لا تطاق وأن عليهم الفدية والقضاء احتياطا قياسا على الحبلى والمرضعة[37].

يقول الشيخ: " هذه الفتوى ليست إقليمية ولا إدارية، ولكنها فتوى مبنية على قواعد صحيحة من الدين وأقوال واضحة من العلماء وقد أصدرها علماء مسلمون من مختلف الأقطار الإسلامية، ومن سائر المذاهب الإسلامية، وقد احتاط هؤلاء

العلماء في فتواهم كل الاحتياط لدينهم، وسدوا كل أبواب التلاعب في وجوه المتساهلين والمتلاعبين وحصروا الرخصة في أضيق حدودها على أربابها وجمعوا بين المصلحة الدنيا العليا بالمحافظة على الروح الدينية في عمالنا، والحرص على قيامهم بالشعائر الإسلامية وتعظيمها وتشجيعهم على أدائها وبين وجوب قيام صناعة إسلامية ثقيلة لكل مواد الحديد والصلب التي تستعمل في السلم والحرب، على أن تسير هذه الصناعة بأيدي أهلها وتقوم معاملها فوق ترابها وتغنيها عن استيراد آلاتها وأدواتها وأسلحتها التي هي قوام قوتها وعزتها وضمان استقلالها من غيرها من الأمم، فإن اعتمادها على ما تنتجه معامل أمم أجنبية عنها يفقدها قوة لا تستغني عنها وتعرضها لمضرة عظمى فقد تصطدم المصالح وتتعرض المعاملات إلى عواصف السياسة المتقلبة والمؤامرات الدولية زيادة على ما تكلفه من ثمن باهض، وقد أمرت الأمة الإسلامية بالاستعداد التام لتكون الأمة القوية العزيزة وشمل الأمر كما حققه العلماء كل الصناعات.

قال الأستاذ محمد رشيد رضا – رحمه الله – عن تفسير قول تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " [38] ما نصه : "الواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن – صنع المدافع بأنواعها والبنادق والدبابات والطائرات والمناطيد، وإنشاء السفن الحربية بأنواعها، ومنها الغواصات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء، وغيرها من قوى الحرب بدليل ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب، وقد ورد أن الصحابة استعملوا المنجنيق مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر وغيرها، وكل الصناعات التي عليها مدار المعيشة من فروض الكفاية كصناعة آلات القتال"[39].

وفي تعليقه على ما جاء في تفسير المنار قال رحمه الله: "في كلام الشيخ رشيد رضا نص صريح أعرب عن فهم صحيح لهذه الآية القرآنية المحكمة، التي أوجبت على الأمة الإسلامية القيام بكل الصناعات الضرورية لتحقيق قوة المسلمين وعزة دولتهم، سواء كانت حربية أو غيرها، مما عليه مدار المعيشة، وإن القائمين بها قائمون بواجب ديني عظيم، كسيرهم لقتال عدوهم، فإن عسر عليهم الصيام أذن لهم في الانتقال إلى الرخصة، وإن التقصير في القيام بهذا الواجب الكفائي يلحق جميع الأمة الإسلامية.[40]

ثم انتقل رحمة الله إلى الإستدال على أن المكلف بالصيام أو غيره إذا شق عليه القيام بما كلف به، انتقل من العزيمة إلى الرخصة في حدودها، ويؤكد عليه ذلك أو يجب حسب الظروف والأحوال، ثم ساق بعض البيانات، معضدة بأقوال الفقهاء السابقين القدامى والمعاصرين كالإمام محمد عبده وتلميذه رشيد رضا وضمن تعليله أورد عدة بيانات يقول في الرابع منها: "إذا كان حصول الضرر للصائم- وهو شخص واحد – بتعطيل عضو من الأعضاء كالسمع أو البصر يوجب عليه أن يفطر ثم يقضي وكان اضطراره للعمل الشاق لحفظ معاشه ومعاش من يعوله – عذرا مقبولا لفطره أو انتقاله إلى الرخصة، فكيف لا يكون خوف حصول الضرر لمجموع الأمة الإسلامية والدولة القائمة عليها بتعطيل معمل لصناعة ثقيلة ضرورية لقوتها، لا يمعن إيقافه ولا يمكن ترك العمل به في رمضان عذرا كافيا لأن يفطر جماعة قليلة من مجموع عماله المضطرين لا تبلغ نسبتهم 2% نحو مائتين من أحد عشر ألفا في بعض أيام رمضان، وهي أيام عمله وهم يقومون بفرض كفائي مأجورين، أمرت به الأمة الإسلامية كلها في قوله تعالي: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[41]. لو فهمنا ديننا مثل هذا الفهم، وأغمضنا أعيننا عن سماحته، والسير فيه، وانتفاء الحرج عنه، وحرصه على تحقيق المصالح ودرء المفاسد، وألزمنا أمثال هؤلاء العمال، إما بالصيام مع الهلاك المحقق أو الأذى الشديد وإما بالإفطار وهم يعتقدون أمام ضمائرهم أنهم عصاة أفطروا دون سند ديني، أو مخرج صحيح فيجرئهم ذلك على انتهاك بقية أحكام الدين، وإما بتركهم العمل مما يؤدي إلى تعطيل المعمل أو خرابه أو تسييره بواسطة عمال أجانب يرهقوننا بتكاليف باهضة، ويعطلون على عوراتنا وبتعطيله نلزم دولتنا بتصدير حديدنا ومعادننا إلى المعامل الأجنبية بأبخس الأثمان، ثم استيرادها مصنوعة بأفحش الأثمان، لو التزمنا هذا لكان منا سفها عظيما لن يطرب له سوى أعداء ديننا الذين يتهمونه بالحجر والجمود، وأنه لا يساير الزمن، كما جهر به المجوسي عابد الشمس، إذ قال فيه: "(إنه أصلب من الفولاذ) وسوى أعداء نهضتنا وخصوم استقلالنا الذين يريدون اهتضامنا وبقائنا ضعفاء عالة عليهم عبيدا لإرادتهم لا يبيعون لنا من الآلات إلا ما يريدون وحسب ما يريدون[42]، ولا يسدرون لا من الأسلحة إلا بمقدار بشرط أن تستعملها لأسباب موتنا لا لتحقيق حياتنا لا نوجهها لأعدائنا ولكن لبعضنا بعضا أو لإخماد أنفاس جماهير شعوبنا، أو لتنفيذ أغراض أحلامهم العدوانية.

إن ديننا يسر لا عسر فيه، وقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالفطر في غزوة الفتح قال للجنود: "إن الفطر أقوى لكم"[43]. ومتى توقفت قوة المسلمين على إفطار جماعة منهم، وتحقق الضرر الخاص أو العام بصومهم فليفطروا وعليهم أن يصوموا عدة ما أفطروا من أيام أخر"[44].

راعى الشيخ في هذه الفتوى مبدأ المصلحة وأثرها الاجتماعي.

وقد أمرت الأمة الإسلامية بالاستعداد التام لتكون الأمة القوية ولا يأتي هذا إلا بالصناعات الثقيلة والحربية كما جاء في الفتوى.

الهوامش:

---

(1) فتاوى الشيخ أحمد حماني. 10/1.

(2) من محاضرة لأبي عبد السلام. واقع الفتوى في الجزائر. الملتقى الدولي المنعقد بتلمسان. 9 – 11 ماي 2011. بعنوان: الفتوى بين الضوابط الشرعية وتحديات العولمة.

(3) فتاوى أحمد حماني.

صراع بين السنة والبدعة 288/2- 289. الشيخ أحمد حماني ومنهجه في الفتوى/ محفوظ بن صغير، رسالة دكتوراه (مخطوط).ص11- 59

(4) قبض عليه بتاريخ 11 أوت 1957 م وحكم عليه بالأشغال الشاقة.

(5) فتاوى لم تنشر ملحقا لفتاواه المطبوعة منها، المكتوب بالآلة الراقنة ومنها المكتوب بخط الشيخ.

(6) الصراع بين السنة والبدعة. أحمد حماني. 285/287/2.

(7) الصراع بين السنة والبدعة. 288/2- 289.

(8) الشيخ أحمد حماني ومنهجه في الفتوى. د. محفوظ بن صغير. ص 54. رسالة دكتوراه. مخطوط.

(9) الشيخ أحمد حماني ومنهجه في الفتوى. د. محفوظ بن صغير. ص 56.

(10) الشيخ أحمد حماني ومنهجه في الفتوى. د. محفوظ بن صغير. ص 69.

(11) فتاوى الشيخ أحمد حماني. ص 11/1.

(12) فتاوى الشيخ أحمد حماني. ص 11/1.

(13) راجع فتاوى الشيخ. ص 473- 2/474.

(14) رواه مسلم في صحيحه والترمذي في سننه.

(15) فتاوى الشيخ أحمد حماني. 21/1.

(16) فتاوى الشيخ أحمد حماني. 21/1.

(17) صراع بين السنة والبدعة. 303/302/2

(18) بداية المجتهد ونهاية المقتصد. 159/1.

الشرح الصغير. راجع شروط صحة الجمعة. سيدي أحمد الدردير. وزارة الشؤون الدينية. نشر مؤسسة العصر.

[19] فتاوى الشيخ أحمد حماني /114/1.
[20] انظر مجموع فتاوى ابن تيمية. 208/23- 209.
[21] فتاوى الشيخ أحمد حماني 114/1.
[22] الشيخ أحمد حماني ومناصرته للمذهب المالكي/ د. محمد راجي. المدرسة المالكية الجزائرية. أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي. أفريل 2009/ ص 548.
[23] البخاري (ك) الصوم ب: قول النبي: إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا (1909) الفتح (4/119) مسلم: ك: الصيام ب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال (2496) 7/188.
[24] فتاوى الشيخ أحمد حماني. 331/1.
[25] فتاوى الشيخ أحمد حماني. 331/1.
[26] فتاوى الشيخ أحمد حماني. 331/1.
[27] فتاوى الشيخ أحمد حماني. 323/3.
[28] المرجع السابق.
[29] المرجع السابق.
[30] المرجع السابق.
[31] فتاوى أحمد حماني 302/3.
[32] نفس المرجع السابق.
[33] فتاوى أحمد حماني 307/3.
[34] فتاوى أحمد حماني 307/3.
[35] أجوبة التسولي على مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد. دراسة وتحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح/ص301. ط1996/1. دار المغرب الإسلامي. بيروت.ر
[36] فتاوى أحمد حماني 306/3.
[37] فتاوى أحمد حماني 305/1.
[38] سورة الأنفال. الآية 60.
[39] تفسير المنار. محمد رشيد رضا. 10/5- 3.
[40] لم أورد الفتوى كاملة لطولها، وإنما أوردت فقط تعليقاته الدالة على حرصه على الوحدة وما يخدم الأمة.
[41] الأنفال. الآية 60.
[42] فتاوى أحمد حماني. 305/1- 314.
[43] أخرجه مسلم ك: الصيام ب: أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل (2619) 7/236/237 وأبو داود في سننه: ك: الصوم:ب: الصوم في السفر (2406) 1/731/732.
[44] فتاوى أحمد حماني 305/1- 314..